زاد عددهم على الستمائة

ضحايا الحرب (النظيفة) في مدينة الناصرية

حسين كريم العامل

حينما طلبت من السيد (علي كريم) ان يتحدث لنا عن مشاهداته ايام الحرب، اخرج دفتر مذكراته وقرأ ما دونه عن تلك الأيام، فاكتفينا بنقل ما سجله في يومين فقط وهما يومي 2003/3/23 و 2003/4/2 اذ سجل وقائع مريرة ننقل

رمي عشوائي

بدأت الحرب تأخذ مسارات اخرى فلم يكتف الامريكان بتهديم المنازل بل طالت نيرانهم الكثير من المدنيين، فالرمي العشوائي والرصاص والشظايا اخذت تخترق اجساد الضحايا من دون رحمة.. فقد استهدفت نيرانهم السيارات المدنية على طريق الناصرية بغداد، وتضررت اكثر من عشرين سيارة في المسافة الممتدة ما بين الناصرية والشطرة، التي تبلغ 45 كم بينما احترقت سيارة (نوع ريم 4 4 راكباً) قرب القلعة وراح ضحيتها الكثير من المدنيين الابرياء. وقد استخدمت القوات الامريكية السيارات المحترقة في اقامة الحواجز على الطرقات، بينما تواصل الرمي بالقذائف الثقيلة والخفيفة والطائرات على المناطق السكنية، ان عمليات القنص متواصلة على طول طريق المرور السريع وعند شاطئ الفرات الذي ما زلت جثث الذين ذهبوا لجلب الماء ملقاة على ضفافه. وما زالت النيران ايضاً تستهدف السيارات المدنية في هذا اليوم (2003/4/2) فقد احترقت في تقاطع البهو وقتل عدد من المواطنين، وكذلك قتل 75 شخصاً على طريق الغراف - الناصرية، كما اصيب خزان الماء الرئيس بقذائف الطائرات المروحية وقتل عدد من الاطفال والنساء في منطقة السيد علي كريم الى هنا تنتهي مذكرات (ابو تحسي) ان ليستكمل رواية الحدث السيد كريم شناوة احد شهود العيان، الذي سقط عدد كبير من اقاربه ضحايا في قرية المهاجرين التي هي جزء من منطقة باهيزة الواقعة على امتداد طريق الناصرية بغداد قرب الغراف قائلاً:

- في عصر ذلك اليوم هاجمت الدبابات والدروع تسندها الطائرات مخازن اعتاد البدلية التي لا يفصلها سوى الطريق العام عن قريتنا فتوالت التفجيرات وهرب الجنود باتجاه منازل القرية فلاحقتهم طائرات الاباتشي وسقط اربعة منهم قتلى في داخل القرية، وقد تضرر عدد من المنازل التي سقطت ظروف الاطلاقات الفارغة فوقها وبعد ذلك تواصلت التعزيزات الامريكية حتى حلول المساء وخيمت امام القرية. وفي الليل تعرضت للهجوم من قبل ميليشيات البعثيين التي اتت من الغراف، وجرى تبادل لإطلاق النار، وهاجمت القوات الامريكية بعدها القرية من دون رحمة، واستخدمت الطائرات والدبابات والدروع حتى انك لن تجد شبراً واحداً لم تسقط فيه شظية. كما قامت تلك القوة بمهاجمة السيارات المحملة بالمدنيين على طول الطريق العام فاحرقت عدة سيارات على جانبيه، منها سيارتان من نوع (ريم) محملتان بالمدنيين، وسيارة (سكانيا) محملة بالأطفال والنساء تناثرت اشلاؤهم على قارعة الطريق، مما اضطر الأهالي عند الصباح الى دفنهم على جانبيه، وتوفت هذه اللهمة عائلة السيد هاشم من قرية الطلاحية التي تعرضت هي الأخرى للقصف والتدمير.

تنهد السيد كريم، وواصل حديثه قائلاً:

- لقد كانت ليلة ليلاء. لم نسمع فيها سوى صرخات الاطفال وشهقات الموت وتعثر الخطوات بالحفر والاشواك. وكانت طائرات التصوير تحوم فوقنا في الليل لتعطي الاحداثيات للدروع والدبابات، لتواصل هذه بدورها القصف على بينما العوائل الهاربة تتخبط في الحفر والانهار الجافة. ولم يبخلوا بإطلاق النار فاستخدموا انواع الاسلحة واستهدفوا المنازل على وجه الخصوص، فقد انهار احدها على عائلة كطران ابراهيم واصيبت زوجته بجروح خطرة، وقتل ولده البالغ من العمر ست سنوات. وقد رأيت جثة ثقوب كاصد وهي مرمية بين الانقاض وكانت تحضن وليدها الجريح وبقيت جثتها على هذه الحالة حتى الصباح، فلم يتم اخلاؤها بسبب القصف العنيف، وقد تعرض منزل شقيقي عبد شناوة للقصف ايضاً وقتل ولده محمد وحفيدته نور سامي البالغة من العمر سنة واحدة، وكذلك ابنة بنته غفران علاء كريم البالغة من العمر 4 سنوات واصيب ولده خضير وبناته ايمان وزينب بجروح، كما اصيب ولده علاء وزوجته، وكذلك تضررت منازل اشقائي علي ورحيم. وعثرنا في منازلهم على بعض القذائف غير المنفلقة وشظايا كثيرة. وشاهدت سقفاً ينهار على سرير احد الاطفال. كذلك تضررت سيارة غالب ابراهيم، وهو أمر لا يكاد يذكر بازاء فقدانه زوجته واصابة طفله البالغ من العمر سنة واحدة، وقد بلغت خسائر قرية المهاجرين والطلاحية في تلك الليلة اكثر من 15 قتيلاً و30 جريحاً. على أن اغلب الاصابات حدثت. اثناء لجوء ابناء القرية الى مقام السيد حسن، الذي تضرر هو ايضاً من جراء القصف. اما عدد القتلى على الطريق العام من الذين تعرضت سياراتهم للتدمير فقد كان يفوق الخمسين قتيلاً ورأيت بعض الجثث وقد نهشتها الكلاب بعد ان حملتها من الحفرة التي دفنت فيها على عجل.

قتل مع سبق الاصرار

اما السيد عبد الستار ناصر حسن الذي فقد ابنته في الحرب فيحكي قصته وهو يغالب الدموع قائلاً:

- لقد كنا نظن القوات الامريكية حامية لحقوق الانسان، لكن سرعان ما تبين زيف هذا الادعاء، وظهرت بشاعتهم ووحشيتهم بشكل جلي من خلال قتلهم للمدنيين، واطلاقهم النار على ابنتي الشابة ذات السبعة والعشرين ربيعاً، حين كانت في السيارة بصحبة زوجها هاربين من القصف الجوي واثناء سيرهم صباح يوم الثلاثاء 2003/3/25 على الطريق العام قرب حي الشهداء فتحت القوات الامريكية النار على سيارتهم، فقتلت ابنتي واصيب زوجها اصابة بالغة كادت تودي بحياته، وتواصل بعدها اطلاق النار وتكرر هذه المرة من احدى الطائرات المروحية ليمزق جسد ابنتي. فأية وحشية يملكها هؤلاء؟ ألم يكن من الاجدر تحذيرهم في الأقل باطلاق النار في الهواء او لتصويب باتجاه الاطارات؟

ضحايا بالجملة

اما عن مأساة عائلة المرحوم الحاج كاظم هاشم، الذي يسكن منطقة الزاوية في صوب الشامية، فيحدثنا ولده جواد كاظم هاشم الذي نجا من الموت باعجوبة بعد ان فقد 14 شخصاً من عائلته:

- في يوم 2003/3/23 وفي الساعة الواحدة ظهراً كنا مجتمعين كعائلة في احدى غرف البيت، ويومها كان الموت على موعد معنا. حضر اغلب افراد العائلة حتى الذين يسكنون في بيوت مستقلة، وفجأة حدث انفجار وصوت عنيف ودهمتنا الشظايا والنيران، وبعدها توالت الانفجارات لتصل الى ثلاثة انفجارات قلبت البيت الى انقاض وكتلة من نار ودمار، واستشهد على اثرها 14 شخصاً من افراد عائلتي، وهم والدي ووالدتي واخي ايوب وشقيقاتي انوار وتماضر، وزوجة اخي سليمة سعدون مع ثلاثة من اطفالها وهم بشائر وهنادي ومحمد، وكذلك بناتي وصال والطفلة الاخرى وعمر هايومان التي لم يمهلنا القصف وقتاً حتى لتسميتها، وكذلك اولاد اختي الثلاثة رنا وزهرة ومحمد، وكذلك اصبت انا بحروق ويضيف شقيقه حافظ كاظم الذي تعرض ايضاً للاصابة مع بقية افراد العائلة قائلاً:

مع هذا كله لم يتركنا الموت، فما ان نقلونا الى المستشفى العام ورقدنا فيه حتى حدث انزال اثناء الليل على المستشفى لتخليص الخبرة الامريكية (جيسيكا) ورفاقها من الاسر، وكادت ان تتعمق المأساة لولا لطف الله، فقد انتهى الانزال بدون اصابات والحمد لله.

والى الآن لم يتم تعويضنا عن الاضرار برغم كل المراجعات..

الطفولة لا تعرف فلسفة الحروب

اما السيد جمعة الذي تعرضت عائلته الى الاصابة بشظايا صاروخ انفجر قريباً من منزله وادى الى استشهاد ولده مصطفى البالغ من العمر ست سنوات واصابة زوجته، فيروي ماساته قائلاً:

- في ذلك اليوم المأساوي وبعد اشتداد القصف قررنا انا وعائلتي ان نغادر

ما ان خرجنا من الباب حتى سقط بالقرب منا صاروخ فانبطحت ارضاً وصرخت طالباً من عائلتي ان يفعلوا ما فعلت، ولكن صرختي جاءت متأخرة فقد اصيبوا جميعاً بالشظايا وفارق ولدي مصطفى الحياة.

شباك الموت

اما الحاج مؤيد عبد الرضا الذي كان جالساً في بيته بأمان الله، فلم يدر بخلده ان الموت سيأتيه من شباك الصالة التي كان يظن انها امنة، فقد اخترقت احدى الشظايا زجاج الشباك لتستقر في جسده معلنة استشهاده، وليصبح رقماً جديداً في قائمة ضحايا الحروب في هذه المدينة.

اما الحاج حمادي خماس ضمد فيروي قصة استشهاد اخيه علي خماس قائلاً:

- كان اخي يحرس داره الواقعة على جانب الطريق السريع، بعد ان نقل عائلته بسبب اشتداد القصف. وحينما صعد الى سطح المنزل قتله الامريكان وبقي ملقى على السطح لاكثر من نصف نهار، كان مدنياً ولم يمتلك اي قطعة سلاح، وقد دفناه دفناً محلياً في مدرسة النضال، ونقلناه بعد هدوء القصف وتوفر الوقود الى النجف الاشرف. واضاف:

- لقد كان الامريكان قساة، وكنا لا نستطيع حتى الخروج من منازلنا، وكانوا يستخدمون الصواريخ العبوة بالسامير لتقتل المدنيين، واسلحة اخرى مدمرة.

مأساة ارملة

اما مأساة الارملة نادين فارسلتها لنا قريبتها مكتوبة لنشرها، ونحن بدورنا ننقل الجزء الذي يتعلق بموضوعنا:

- بعد اشتداد القصف في قضاء الشطرة ركبت العائلة سيارتها الريم وتوجهت الى الصوب الثاني من المدينة، واثناء سيرها قصفت السيارة بصاروخ صير كل من فيها اكواماً لحم مخلوطة بالشظايا والحديد، فقد تحولت الجدة وفيه القصف داخل شياع 55 سنة الى كومة من اللحم المحترق وفي حضنها حفيدتها طيبة 3 سنوات التي فارقت الحياة، وكذلك تضخمت جثة رب الاسرة مجد حمادي 35 سنة وولده كرار وعمره سنتان، واصيب ابنهما علي بجروح بليغة، هكذا وبرمشة عين انتهت عائلة وتيتم طفلان وترملت امرأة، وفقد التبقي من هذه الاسرة مصدر رزقها الوحيد بتحطم السيارة. ولم تجد نفعاً مراجعاتهم للتواصلة، ولم يحصلوا حتى الآن على اي نوع من التعويضات وأي تعويض يعيد اليهم من غابوا؟

بعد وقف اطلاق النار

اما حكاية مقتل الواطن احمد نعمة عبد الجليل الذي يقطن في المجمع السكني التابع لمديرية طرق وجسور ذي قار، فيرويها خاله المحامي حسين عبد حاتم:

في يوم 2003/5/15 وفي الساعة العاشرة والنصف مساء ذهب احمد الى الدار المجاورة لدارهم ليجلب بعض الحاجيات، وعند طرق الباب خرج له صديقه اسعد عواد، وظلا واقفين عند الباب يتبادلان الحديث. وتزامن ذلك مع مرور دورية امريكية من قوات المارينز تتجول في الشارع على بعد ثلاثة امتار منهم، وكانت الانارة جيدة صرخ الجنود بهم بلغة لا يفهمونها فرفع احمد واسعد ايديهما الى الاعلى اشارة منهما الى السلام وليطمئن الجنود من عدم وجود خطر، لكن الجنود لم يكتفوا بهذا واخذوا يزيدون الصراخ ويطلقون كلمات لا يفهمها الاولاد، مما اربكهما فتوجها الى الدار في محاولة لارضاء الجنديين الغاضبين لكن الدورية بادرتهم باطلاق النار من بندقية ينشطر عتادها في الاجساد الى عدة اجزاء فاصيب احمد وسعد وسقطا على الارض، وفارق بعدها احمد الحياة. وكان ذلك على مرأى ومسمع ذويهما الذين منعهم الجنود من تقديم الاسعافات لابنائهم الصابين. وبعد ذلك قاموا بانقلهم لجهة مجهولة وفي الصباح وعن طريق احد الاصدقاء علموا بوجود جثة احمد في الطب العدلي لمستشفى الناصرية، اما اسعد فقد اختفى اثره لكنه ظهر بعد اربعة ايام راجعنا بعد ذلك لقيادة العسكرية الامريكية وقدمنا شكوى بمساعدة منظمة (COOL) نطلب فيها محاسبة الجنود، لكن الامريكان رفضوا ذلك، واعتبروه من ضمن العمليات العسكرية على الرغم من وقف اطلاق النار. ولم يعتبروا الفعل قتلاً عمداً بل وحتى لم يعتبروه قتلاً عن طريق الخطأ، وقدموا العائلة احمد مبلغاً بسيطاً من المال يقدر بـ 2000 دولار ولعائلة اسعد 500 دولار.

المقابر المحلية

وعند المقابر المحلية التي استحدثت في داخل المدينة لدفن ضحايا الحرب يحدثنا السيد جميل ناصر الفضلي قائلاً:

- بعد ان اغلقت الطرق المؤدية الى مدينة النجف الاشرف بسبب العمليات العسكرية، وكذلك لعدم توفر الوقود اللازم لتشغيل السيارات، فقد اضطر ابناء المدينة الى دفن ضحاياهم في اماكن عامة في المدينة بطريقة (الأمانة)، اذ دفنت بعض الجثث في مدرسة النضال ومدرسة البقاع وحديقة غازي، بينما امتلأت مقبرة (منصور ابو الحسن) الواقعة في مدخل المدينة الغربي ومقبرة سيد ذهب شمال المدينة ومقبرة السيد خضير جنوبها بالمئات من جثث الضحايا، التي قام الاهالي بدفنها والتي ضمت كذلك جثث عدد من الجنود مجهولي الهوية، كما قام بعض الاهالي بدفن موتاهم في حدائق منازلهم لحين نقلهم مستقبلاً الى النجف الاشرف كما حصل مع عائلة السيد ريسان.

بينما قدر مصدر في لجنة تعويض الاضرار في المجلس البلدي في الناصرية عدد ضحايا القصف من المدنيين في المدينة وحدها بأكثر من 600 ضحية.

وهؤلاء هم فقط الذين قدموا طلبات تعويض!

على اليسار الشهيد احمد نعمة نعمة عبد الجليل

الشهيدة نضال عبد الستار — الشهيد جواد كاظم — الشهيد علي خماس — الشهيد مستشار جمعة

في (ملف)

حوار باللغة العربية... في أربيل

احمد السعداوي

أشياء كثيرة ظلت تطوف في قاعات مؤتمر الحوار العربي - الكردي الذي عقد مؤخراً في أربيل، دون أن توثق، أو يسلط عليها ضوء إعلامي، وربما كانت أهميتها هنا بالذات، كونها لم يسلط عليها ضوء إعلامي كاف.. ففي كثير من الأحيان يفرض (الضوء) الإعلامي لا شعورياً قانونه الذي يدرج فيه الرأي أو الخبر أو حتى طبيعة الصورة. وفي بلادنا ما زلنا أمام الكاميرا التلفزيونية أو المايكروفون الصحفي نغدو محافظين أكثر مما نحن على الطبيعة.

على كل حال، كتلة كبيرة من المادة الطازجة في هذا الوتمر ظلت بعيدة عن (رقابة) الإعلام، اللجان الخمس التي تشكلت لدراسة موضوعات بعينها.. فزوت في قاعات تركت أبوابها مفتوحة. بإمكان أي شخص أن يدخل ويجلس، يشارك في الرأي، أو يخرج بهدوء، أو يظل مستمعاً للآراء التي تطرح.

في إحدى القاعات تتدارس إحدى اللجان موضوعة الفيدرالية، فتح أحد الندل الباب بهدوء، كنت قد دخلت متأخراً، نظر إلي وأخبرني بأن بوفيه الغداء جاهز، ثم انسحب. لكني لم أستطع قطع حلقة النقاش الدائر.. كان نقاشاً حقيقياً، ولا يملك أحد حق إنهائه، غير أنه لم يكن بتلك الرومانتيكية المثالية، كان شيئاً بشرياً، ومن هنا أهميته..

هناك عرب يحاملون الأكراد، وكرد يحاملون العرب، كان هناك شيء من (الطبطبة) على الأكتاف في كلام البعض، وكأنه يريد إغلاق ملف دمي أصلاً لفتحه، لكن السحة الغالبة، كانت الرغبة بإثارة المشاكل الحقيقية، أو انتهاز فرصة حدوث هذا (الحوار) بين الكرد والعرب. لفتح مواضيع ومشاغل حقيقية.. الانفعال والحماسة اللذان رأيتهما في وجوه البعض داخل هذه اللجنة، وهم يتحدثون جعلاني أصدق بـ(الحوار) وجدوى الحوار، وحمدت في داخلي كون تلك العين الثالثة الشخصية (عين الكاميرا التلفزيونية) لم تكن موجودة في القاعة، لأنها قطعاً - وهذه قناعتي الشخصية - ستسلب شيئاً من حيوية الحوار، وتفقده بعض تركيزه.

وأريد هنا أن أبقى مع موضوعة الفيدرالية، من الذي يتحكم مصيرها حقاً؟ الفرقاء السياسيون، أم الرأي الشعبي، أم الانتلجنسيا الثقافية، أم طبقة أصحاب رؤوس الأموال وأرباب الاقتصاد العراقي القادم؟! أم هي أنا وأرغبتي الخاصة؟

بأسئلتي هذه أحاول البقاء بصدق داخل القاعة، التي استمر فيها النقاش، برغم أن رواد الوتمر الآخرين توجهوا إلى صالة الطعام منذ وقت.

كان مقرر اللجنة يسعى إلى دمج الآراء في ورقة واحدة. هي خلاصة النقاش الذي دار حول موضوعة الفيدرالية. غير أن ذلك لا ينهي (الحوار). الحوار من طبيعته أنه لا ينتهي. والتصورات التي خرجت بها لجان الوتمر، لا تمتلك صفة رسمية وهي غير ملزمة لمجلس الحكم مثلاً أو سلطة الاحتلال. إن مهمتنا تقريب وجهات النظر، والتعرف على الآخر. وقد نجحت في ذلك، أو في الأقل.. نجحت في إنجاز خطوة نحو ذلك، بما إننا قلنا إن الحوار لا ينتهي.

سأتحدث قليلاً وأقول: أن الوتمرين (بكر دهم وعربهم) خضعوا التأثيرين متعارضين، ربما أنجز تعارضهما علاقة توازن ما، التأثير الأول جاء من المكان. فالوتمر عقد في كردستان. العرب في قاعة كردية، ومظللين بسقف وسماء كرديتين، وفي اللجة للقابلة، لغة الوتمر كانت عربية، حتى اللافتة التي خطت في صدر القاعة الكبيرة التي افتتح الوتمر فيها، كانت مكتوبة بالعربية، الكرد إذن يمررون كرديتهم عبر العربية، وضمن الفضاء الصوتي وجرس اللغة العربية.

لدي يقين شخصي (حتى أختم كلامي بذلك) إن ثلاثة أرباع موضوع الفيدرالية محسوم منذ الآن (محسوم لدى من.. وكم هم... وكيف؟)، وحتى لا نكون أعداء أو خصوماً، بسبب نقص في المعلومات ليس إلا، علينا أن ننتهز فرص الحوار، أو نخلق مثل هذه الفرص تجاه قضايا مثل الفيدرالية أو غيرها، إن الحوار هو أفضل من اللغو الذاتي الذي يفترض وجود الآخرين ويتخيله برغم أنه أمامه، وكذلك الثقة، التي هي أساس كل شيء حسن في مستقبلنا الغامض، لا يمكن أن تتوفر، وبكثرة، من دون الحوار، الحوار المفتوح الذي لا ينتهي.